التكوين الثقافي لـمؤرخي الـمشرق الإسلامي في القرن السابع الـهجريّ (١٣م)، وأثره في مؤلفاتـهم
[ابن السَّاعِيّ نموذجًا]

علاء مصري النِّهر

التكوين الثقافي لمؤرخي المشرق الإسلامي في القرن السابع الهجريّ (١٣م)، وأثره في مؤلفاتهم: ابن الساعي نموذجًا[1]

المستخلص:

بعد وفاة ابن الدُّبيثي وابن النَّجار، أصبح تلميذهما تاج الدين عليّ بن أنجب المعروف بابن السَّاعِي، مؤرخ بغداد الوحيد، وبرغم أن أسرته كانت من عامّة أهلها، إلا أنه استطاع أن يتقرب من رجال الحكم؛ فألَّف أربعَ سِيرٍ عن آخر أربعة خلفاء من العباسيين، فكان لهذا الاتصال أثرٌ واضح في ثقافته التاريخية، تمثَّل في اطِّلاعه على عددٍ كبير من سجلات دار الخلافة. كما أنه شهد لحظة دخول هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م، ونجا من القتل على أيدي التتار بعد أن لجأ إلى دار الوزير ابن العَلْقَمِيّ؛ فقد كان ابن الساعي على علاقةٍ طيبة به، ويحضر مجالسه. وفي دولة إيلخانات فارس والعراق (٦٥٤–٧٥٨هـ = ١٢٥٦–١٣٥٧م) تولَّى ابن السَّاعِي منصبًا علميًّا رفيعًا، هو خازن دار الكُتب بالمدرسة المستنصرية في بغداد، بتفويضٍ من نصير الدين الطُّوسي ت (٦٧٢هـ = ١٢٧٤م)، وكان قد تولَّى هذا المنصب من قبل في دولة العباسيين بالمدرسة النِّظَامِيَّة. وبعد أن هدأت الأوضاع ببغداد، ظل ابن الساعي وفيًّا للعباسيين، تمثل ذلك في احتفاظه بالكتب التي ألَّفها زمن العباسيين أو بتأليفه كتب جديدة، نعى فيها حكم أسياده وأمجادهم؛ فكتابه "المقابر المشهورة" يعد رثاءً حقيقيًّا وصادقًا لبغداد بعد سيطرة التتار عليها؛ فهو يعدِّد فيه مقابر المشاهير من المحدِّثين والزُّهاد، ناهيك عن مقابر العباسيين، لكنه لم يشرْ قَطُّ إلى قبر المستعصم؛ ربما لأنه ألَّفه في عهده، أو لخوفه من التتار، في حين تطرَّق بالحديث إلى مقابر الخلفاء الذين دُفنوا خارج بغداد. وله أيضًا كتابٌ عن نساء الخلفاء العباسيين، تتجلى فيه ثقافته المُعظِّمة لبني العبَّاس. ولعل من أبرز مؤلفاته قاطبة كتابه "الدُّر الثمين"؛ فقد ذكر فيه كثيرًا من أسماء كُتبه المفقودة، مثل: "التبرِّي من عقيدة المَعَرِيّ"، و"أخبار ابن سِينا"، وغيرها كثير. وتتجلى فيه ثقافته المتشبعة بحبِّ الشافعية؛ فقد أكثر من التراجم عنهم. وقد غلب علم التاريخ على ثقافة ابن الساعي؛ حتى إنَّ الذهبي وصفه بـ "المؤرخ الجبل"؛ لتبحره في هذا الميدان. وقد كان لثقافته أثرٌ بيِّن في عقلية تلميذه ابن الفُوَطِيّ، آتت أُكُلَها في كتابه "مَجْمَع الآداب"؛ إذ اعتمد فيه اعتمادًا كبيرًا على "تاريخ ابن الساعي"، الذي لم يتبقَ منه إلا الجزء التاسع.

[1] هذا البحث مستل من رسالتي للدكتوراة بإشراف أ. د حمدي عبد المنعم، و د. حنان اللبودي.

The Cultural Formation of the Most Important Historians in the 7th A.H. Century (13 A.D.) in the East, & its Impact on their Books (Ibn al–Sa'i as an Example)

Abstract:

After death of Ibn al-Dhibithi and Ibn al-Najjar, their student; Tadj al-Din Ali b. Andjab known as Ibn al-Sa'i, became the only historian of Baghdad, although his family was from the general people of Baghdad, he managed to draw close to the men of government. This connection had a clear impact on his historical culture; it helped him to acquainte a number of records of the Caliphate Palace.

Also, he witnessed the moment of the entry of Hulagu to Baghdad in 656 AH = 1258 AD. He survived from killing by the Mongols after he resorted to the house of Minister Ibn al-Alqami because he had a good relationship with him. In the state of the Ilkhanate, he took a senior scientific position, is a librarian of the school of Mustansiriyya in Baghdad, with the mandate of Nasir al-Din al-Tusi. Ibn al-Sa'i has taken this position in the Abbasid state.

After calming of the situation in Baghdad, Ibn al-Sa'i was still loyal to the Abbasids; represented by keeping the books written to the Abbasids or by writing new books, in which he mourned rule of his masters and their glories, sush as his book "Al-mkabr al-mshhourah wal mshahd al-mzourah" that is a real and true lament for Baghdad. After the Mongol controled over it; he listed thier tombs, but never referred to a tomb of caliph Al-Mustasim, perhaps because he wrote the book in his time or because of his fear of the Mongols. He also has a book on some of the wives of the Abbasid caliphs, known as the "Nisa' al-khulafa'" which reflects his good feelings towards the Abbasids.

Among the most prominent works of Ibn al-Sa'i is his book "Al-dur al-thamain" where he mentioned many of the names of his lost books, including: "Al-tabri mn akedat al-Ma'ari", "Akhbar Avicenna" and many more. In his book "Al-dur", his culture loving the Shaafais is greatly reflected.

In fact, culture of Ibn al-Sa'i has historical background, so Al-Dhahabi described him as the "mountain historian". His culture had a great impact on the mentality of his student Ibn al-Fuwati (d. 723 AH = 1324 AD) which appeared in his book "Madjma' al-adab fi mu'djam al-alqab"; as he relied heavily on "Tārīkh Ibn al-Sa'i".

التكوين الثقافي لـمؤرخي الـمشرق الإسلامي في القرن السابع الـهجريّ ، وأثره في مؤلفاتهم (المؤرخ ابن السَّاعِيّ البغداديّ ٥٩٣-٦٧٤هـ = ١١٩٦-١٢٧٥م: نموذجًا)

الباحث: علاء مصري إبراهيم النِّهر

نشأة ابن السَّاعِي وأثرها في تكوينه الثقافي:

وُلد المؤرخ عليّ بن أنجب بن عثمان بن عبدالله بن عُبيد الله بن عبد الرحمن ببغداد سنة ٥٩٣هـ = ١١٩٦م في أسرةٍ فقيرة، وهو يُكنى أبا طالب، ويُلقب بتاج الدين، واشتهر بابن السَّاعِي، وبالخَازِن أيضًا[٢]. ولم تذكرْ المصادر التي ترجمت له أية إشارةٍ عن نشأته أو أسرته، باستثناء إشارات ثلاث، تلقي بعض الضياء على نشأته العلمية: الأولى أنه ابن قاضي شهبة[٣] ذكر أنه كان شافعيّ المذهب، فأغلب الظن أن أباه كان شافعي المذهب أيضًا؛ فهذه الفترة كانت فترة الشوافع بامتياز؛ إذ إن كثيرًا من العلماء غيَّروا مذهبهم للشافعية، بعد أن اتخذته الدولة مذهبًا رسميًّا[٤].

---

(2) الذهبي (شمس الدين محمد بن عثمان)، **تذكرة الحفاظ**، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٥٥م، جـ(٤)، ترجمة (١١٦١)، ص١٤٦٩؛ الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد المكي)، **منتخب المختار**، تحقيق عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات - بيروت، ط(٢)، ٢٠٠٠م، ترجمة (١١٦)، ص١١٠؛ ابن العماد (شهاب الدين عبدالحي ابن أحمد)، **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب**، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، ط(١)، ١٩٩١م، مج(٧)، ص٥٩٩.

(3) **طبقات الشافعية**، تصحيح وتعليق عبدالعليم خان، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن، ط(١)، ١٩٧٩م، جـ(٢)، ترجمة (٤٤١)، ص١٧٨.

(4) محمد عبدالله القدحات، **الاهتمامات العلمية للخلفاء العباسيين**، مجلة العصور – لندن، ٢٠٠٢م، مج(١٤)، جـ(٢)، ص٤-٦.

وهناك شبه إجماع بين المؤرخين أن المحدث أبا سعد عبدالله بن عمر، المعروف بالصَّفَّار النيسابوري الشافعي (ت٦٠٠هـ = ١٢٠٣م)، أجاز لابن الساعي إجازة عامّة[٥]. وهذا يعني أنه حصل على تلك الإجازة وهو دون الثامنة من عمره، ويدل أن والديه عَنيا بتعليمه وهو في سنٍّ صغيرة. وهذه هي الإشارة الثانية.

أما الإشارة الثالثة، فقد ورد في بعض المصادر أن ابن السَّاعِي عُرف بابن الساعاتي؛ نسبةً إلى أخواله التي ترجع أصولهم إلى مدينة بعلبك، ثم انتقلوا إلى بغداد وأقاموا بها، فجده لأمه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المدرسة المستنصرية ببغداد، وخاله مظفر الدين أحمد ابن علي بن تغلب بن أبي الضياء البغدادي الحنفي ت (٦٩٤هـ = ١٢٩٤م)، عمل مدرسًا لطائفة الحنفية بالمدرسة المستنصرية[٦]. وقد أحدث هذا لبسًا حول لقب علي بن أنجب، فالكثرة تُلقِّبه بابن الساعي؛ نسبةً إلى العَدَّاء الذي يسير في مصالح غيره من التجار والأعيان بين القرى والبلدان، والقلة تُلقِّبه بابن الساعاتي؛ نسبة بيت ابن الساعاتي الذين عملوا الساعات البَنكاميَّة المائية وإدارتها. وقد كان محيي الدين القرشي المصري صاحب هذا الخلط؛ إذ عندما ترجم لعلي ابن أنجب في كتابه، قال: "علي

---

(5) القزويني (سراج الدين عمر بن علي الشافعي)، **مشيخة القزويني**، تحقيق عامر صبري، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط(١)، ٢٠٠٥م، ص٤٦٥؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (الجزء المفقود)، تحقيق خيري سعيد، المكتبة التوفيقية – القاهرة، (د.ت)، ترجمة (٦٣٩١)، ص٣٠٨؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط(١)، ٢٠٠٠م، جـ(٢٠)، ص١٥٩؛ ابن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف الأتابكي)، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، دار الكتب المصرية، ١٩٩٩م، جـ(٨)، ترجمة (١٥٧٠)، ص٥٤-٥٥.

(6) ابن الفُوَطِيّ (كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر – طهران، ط(١)، ١٩٩٦م، مج(٥)، ترجمة (٥٠٤٠)، ص٢٦٠؛ القرشي (محيي الدين عبد القادر بن محمد)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر – القاهرة، ط(٢)، ١٩٩٣م، جـ(١)، ترجمة (١٤٧)، ٢٠٨-٢٠٩؛ جـ(٢)، ترجمة (٩٥٢)، ص٥٤٦.

بن أنجب بن عثمان بن عبيدالله بن الحارث، عُرِف بابن الساعاتي... تقدَّم خاله أحمد بن علي بن ثعلب الإمام، وذكره الحافظ الدِّمياطي في مشيخته"[٧].

غير أنه لا صلة في الحقيقة بين بيتيهما، سوى ما أحدثه الوهم في النسخ والتصحيف فيه، فكيف يكون أحمد بن علي بن تغلب خال ابن الساعي من حيث الزمان، ومؤلف "الجواهر المضية" يذكر في ترجمة هذا الخال أنه أتمَّ تأليف بعض كتبه سنة ٦٩٠هـ = ١٢٩١م، مع أن ابن أنجب تُوفيِّ سنة ٦٧٤هـ = ١٢٧٥م؟![٨].

وهناك نصّ وحيد ذكره ابن الساعي عن طفولته، يتضح منه حرص أسرته على تعليمه وهو في سنٍّ صغيرة؛ فقد فقال في كتابه "أخبار الزُّهاد" عند ترجمته لشيخه أمين الأمناء ابن سُكَيْنَة ت (٦٠٧هـ = ١٢١٠م): "وأذكرُ وأنا صبي زاهقَ الحُلُم وأنا ألتذُ بالنظر إليه، ولا أسأمُ القعود بين يديه. ولمَّا رأى فيَّ ذلك أحبني، وكان يسألني عن حالي، ويسأل عني إذا غبت، ويخصني بشيءٍ من الحلاوة في كلّ وقتٍ أحضرُ عنده". ونفهم من ذلك نبوغ ابن الساعي المبكر، وهمته العالية في تحصيل العلم وهو طفل لم يبلغْ الحُلُم بعد، حتَّى إن شيخه هذا كان له ابن أصغر من ابن الساعي بسنتين اسمه عبد الرحيم ت (٦٣٩هـ = ١٢٤٢م)، فكان عندما يرى منه تقصيرًا أو ميلًا إلى لعبٍ، ينكر عليه، ويقول له: "لِمَ لا تكون مثل هذا؟! فإنَّ له همةً أرجو له الصلاح"[٩].

كما أن هناك خبرًا آخر ذكره ابن الساعي في ترجمة شيخه الحسن الصَّغَاني ت (٦٥٠هـ = ١٢٥٢م)، يبين علو همته في تحصيل العلم؛ إذ قال: "وكان يحُضّ على قراءة كتاب "معالم السُّنن" للخَطّابي، ويقول: مَنْ حفظه ملك ألف دينار، وأنا حفظتُه

---

(7) **الجواهر المضية**، جـ(٢)، ص٥٤٦.

(8) مقدمة محقق **جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**، دار المعارف–القاهرة، (د.ت)، ص١٥.

(9) ابن الساعي، **أخبار الزهاد**، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٧٥، ورقة ٩٢-٩٤؛ بشار عواد معروف، **أخبار الزهاد (العثور على أثر مفقود لمؤرخ العراق ابن الساعي)**، مجلة المورد – بغداد، ١٩٧٤م، السنة الثالثة، العدد الثالث، ص٣٠٣.

وملكتُها"[١٠]. ومن خلال تلك الإشارات القليلة، يتبين لنا أن أسرة ابن الساعي كانت وجهتها علمية؛ إذ دأبت على تعليمه منذ نعومة أظافره على أيدي كبار علماء بغداد، كما سيأتي بيانه بعد ذلك.

وظيفة ابن الساعي وأثرها في تكوينه الثقافي:

عُرِف ابن السَّاعِي بصفة "الخَازِن"؛ نسبةً إلى وظيفته، وهو اصطلاحٌ لمَنْ يخزن الكُتب ويحفظها، وذكر عبد المؤمن الدمياطي وابن رافع السَّلامي أنه كان خازن الكتب بالمدرسة النِّظَامِيَّة[١١] ببغداد، وذكر مؤرخون آخرون أنه كان خازن كُتب المدرسة المستنصرية[١٢].

ولكن هل بدأ ابن الساعي عمله بالنِّظَامِيَّة أم بالمستنصرية؟ هناك نصٌّ فريد يؤكد أن ابن الساعي عمل بالمدرسة النظامية في ظل خلافة المستعصم بالله؛ إذ ذكر تلميذه عبد المؤمن الدِّمياطي[١٣] أنه قرأ عليه بالنِّظَامِيَّة شرقي بغداد حديثًا لرسول الله ﷺ، وأنشده أبياتًا لأبي نصر ابن الواثق الخطيب ت (٦٢٩هـ = ١٢٣٢م)، وأبياتًا أخرى لابن زُطِّينا ت (٦٢٦هـ = ١٢٢٩م)، ولكن في أية سنةٍ سمع الدِّمياطي من ابن الساعي؟ ذكر الإسنوي وابن تغري بردي أن الدمياطي دخل بغداد مرتين، "وحدَّث هناك في المرة الأخيرة وأملى، وزرق وافرًا،

---

(10) **الدُّر الثمين في أسماء المصنفين**، تحقيق أحمد شوقي بنبين، محمد سعيد حنشي، دار الغرب الإسلامي – تونس، ط(١)، ٢٠٠٩م، ص٣٤٤.

(11) **معجم شيوخ الدمياطي**، مخطوطة بمعهد المخطوطات العربية - الكويت، ترجمة شيخه ابن الساعي في الجزء الثلاثين، ورقة (٧ أ-ب)؛ الفاسي، **منتخب المختار**، ترجمة (١١٦)، ص١١٠.

(12) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، جـ(٤)، ترجمة (١١٦١)، ص١٤٦٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، جـ(٢٠)، ترجمة (٢٣١)، ص١٥٩؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى، ١٩٧٩م، جـ(١)، ترجمة (١٥٦٣)، ص٤٥١؛ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن)، **الإعلان بالتوبيخ لمَنْ ذمَّ أهل التاريخ**، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط(١)، ١٩٨٦م، ص٢٤١.

(13) **معجم شيوخه**، جـ(٣٠)، ورقة (٧ أ-ب).

وخرَّج أربعين حديثًا" للخليفة المستعصم[١٤]؛ أي أنه سمع من ابن الساعي في المرة الأولى؛ فقد أشار الدمياطي أنه صلى على شيخه ابن الخير ببغداد في سنة ٦٤٨هـ = ١٢٤٩م، ثم صلى على شيخه الصاغاني سنة ٦٥٠هـ = ١٢٥٢م[١٥]، وغادر بغداد في السنة الأخيرة نفسها. وهذا يدل على أن رحلتي الدمياطي إلى بغداد كانتا في سنتي ٦٤٨هـ و٦٥٠هـ = ١٢٤٩-١٢٥٢م، وسمع من ابن الساعي في رحلته الأولى سنة ٦٤٨هـ؛ إذ كثرت سماعاته في تلك السنة، بينما في سنة ٦٥٠هـ = ١٢٥٢م أخذ يحدِّث ويُملي.

ومن هذا، يتبيَّن لنا أن ابن الساعي كان يُلقي دروسًا لطلبة العلم في المدرسة النِّظَامِيَّة، بجانب عمله فيها كخازن بدار كتبها؛ وقد قيل: "لم يُقمْ بالنظامية أحدٌ إلا وفُتِح له بابٌ من العلم"[١٦].

أما بالنسبة لعمله بالمدرسة المستنصرية، فقد كان بعد سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م؛ أي بعد دخول المغول بغداد مباشرة، فقد فوضه إليه الفيلسوف النصير الطوسي ت (٦٧٢هـ = ١٢٧٣م) أمر الإشراف على خزانة كتب المدرسة المستنصرية[١٧].

ويبدو أن ابن الساعي ظل يلي أمر خزانة كتب المستنصرية منذ سنة ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م، وحتى سنة ٦٧١هـ = ١٢٧٣م؛ فقد ذكر ابن الفُوطي أن محيي الدين الخالدي ت (٦٨٢هـ = ١٢٨٣م) دخل بغداد في هذه السنة، وفُوِّض إليه أمر خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية، ولم يزلْ بها مشتغلًا حتى وفاته سنة ٦٨٢هـ = ١٢٨٣م[١٨]. وسيرًا

---

(14) الإسنوي (جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن)، **طبقات الشافعية**، تحقيق كمال الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١)، ١٩٨٧م، جـ(١)، ترجمة (٥١١)، ص٢٧٠؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، جـ(٧)، ترجمة (١٤٩٣)، ص٣٧١.

(15) الدمياطي، المخطوطة السابقة، الجزء (١٢)، ورقة (٦)؛ الجزء (٣٥)، ورقة (٧-٨).

(16) سعيد نفيسي، **المدرسة النِّظَامِيَّة في بغداد**، ترجمة حسين علي محفوظ، مجلة المجمع العلمي العراقي، سبتمبر ١٩٥٥م، العدد الثاني، ص١٤٥.

(17) ابن أبي الحديد (عبد الحميد بن هبة الله المدائني)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – بيروت، ط(٢)، ١٩٦٥م، جـ(٨)، ص٢٤١.

(18) **مجمع الآداب**، مج(٥)، ترجمة (٤٧٤٥)، ص١١٣.

على درب أستاذه ابن النجار، الذي اقتدى بالخطيب البغدادي ت (٤٦٣هـ = ١٠٧١م)، وقف ابن الساعي كتبه على المدرسة النِّظامية[١٩].

وقد مكَّنه عمله هذا من الاطِّلاع على مختلف الكُتب؛ فألَّف في شتَّى ميادين المعرفة من فقهٍ وحديث وأدب وشعر؛ فكان بحقٍّ مؤرخًا موسوعيًّا. وتجلى أثر عمل ابن الساعي في ثقافته واضحًا كلّ الوضوح في كتابه "الدُّر الثمين"؛ فقد أشار بأنه اطّلع على عددٍ من الكتب النادرة[٢٠].

علاقة ابن الساعي بحكام عصره وأثرها في تكوينه الثقافي:

إنَّ اشتغال ابن الساعي بالعلم والأدب، وحُسن أخلاقه وجمال سيرته، جعلته محترمًا بين الناس، مكرمًا عند أرباب الدولة العباسية؛ فقد رأى الخليفة الظاهر بأمر الله، حيث ذكر تلميذه ابن الكَازَرُونِيّ في ترجمة الظاهر: "قال الشيخ الثقة تاج الدين علي بن أنجب، المعروف بابن الساعي: رأيتُه، وهو أبيض مشرب حمرة".كما حضر البيعة العامة للخليفة المستنصر سنة ٦٢٣هـ = ١٢٢٦م، وشاهده؛ قائلًا: "حضرتُ بيعتَه، فلمَّا رُفِعَ السَّتر، شاهدتُه وقد كمَّل الله صورتَه ومعناه"[٢١]، وقد اتصل في عهده بالأمير جمال الدين قَشْتَمُر النَّاصريّ ت (٦٣٧هـ = ١٢٤٠م)[٢٢].

---

[19] شهاب الدين الدمياطي (أحمد بن أيبك الحسامي)، **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار**، تحقيق محمد مولود خلف، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط(١)، ١٩٨٦م، ترجمة (٣٨)، ص١٦٠؛ الإسنوي، **طبقات الشافعية**، جـ(١)، ترجمة (٦٦٠)، ص٣٤٧.

[20] **الدُّر الثمين**، ص١٢٥، ١٣١.

[21] **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بَني العباس**، تحقيق مصطفى جواد، دار اقرأ - بغداد، ط(١)، ١٩٩١م، ص٢٥٥، ٢٥٩؛ الذهبي، **سِير أعلام النبلاء**، تحقيق بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط(١)، ١٩٨٤م، جـ(٢٣)، ترجمة (١٠٥)، ص١٥٧؛ **تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط(١)، ٢٠٠٣م، جـ(١٣)، ص٦٣٩.

[22] **تاريخ ابن الساعي**، تحقيق محمد القدحات، دار الفاروق – عمَّان، ط(١)، ٢٠١٠م، جـ(٩)، ص٢٠٩-٢١٠.

ومما يبرهن على علو منزلة ابن الساعي وكلمته المسموعة لدى رجال بلاط الخليفة المستنصر، هو ما ذكره في ترجمة رأس المثيبة[٢٣] اليهودي ابن الشُوَيْخ ت (٦٤٥هـ = ١٢٤٧م)، فقد كتب ابن الشُوَيْخ هذا رقعةً تتضمن سؤالًا لبعض يهود بلدة حَرْبَى[٢٤]، يشكون من نواب تاج الدين مُعَلَّى ابن الدَّباهيّ ت (٦٣٣هـ = ١٢٣٦م) – صَدْر مخزن دار الخلافة –، وأرسلها إلى ابن الساعي؛ ليرفعها إلى تاج الدين مُعَلَّى، فعرضها عليه ابن الساعي، فوقَّع بقلمه بأعلاها: "يُجاب سؤال رافعوها"، والأصح أن يقول: "يُجاب سؤال رافعيها"، فاستحى ابن الساعي أن يراجعه في معنى لحنه؛ إذ كان المجلس حافلًا، فأرسلها بهذا اللحن إلى ابن الشُوَيْخ، فلمَّا رأى اللحن نظم بيتين معتذرًا عن هذه اللحنة، مخاطبًا بهما تاج الدين مُعَلَّى، ثم أرسلهما إلى ابن السَّاعِي[٢٥].

---

(23) رأس المثيبة، أو رأس الجالوت: مشتقة من "مثينا" الكلمة الآرامية، وتقابل في العبرية "جاءونيم: Geonim"، مفردها "جاءون"، وتعني حرفيًّا الأفخم أو المعظم أو النيافة أو السمو، وتقابلها في العربية فقيه أو إمام، ورأس المثيبة هو الرئيس الروحي لليهود، وتُستخدم الكلمة للإشارة إلى رؤساء الحلقات الفقهية التلمودية الأساسية في بابل، الذين كانوا يعدون الرؤساء الروحيين ليهود العالم. ينظر: عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونة**، دار الشروق – القاهرة، ط(١)، ١٩٩٩م، مج(٥)، ص١٥٥.

(24) بليدة تقع أقصى دُجَيل، بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة، كانت مشهورة بصناعة الثياب القطنية الغليظة. ينظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)، **معجم البلدان**، دار صادر – بيروت، ١٩٧٧م، مج(٢)، ص٢٣٧.

(25) ابن الفوطي، **مجمع الآداب**، جـ(٢)، ترجمة (١٩٩١)، ص٥٦٠؛ مؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري، **كتاب الحوادث**، تحقيق بشار عواد معروف، عماد عبد السلام رؤوف، انتشارات رشيد – طهران، ط(١)، ١٩٩٦م، ص٢٦٠؛ الغسَّاني (عماد الدين إسماعيل بن العباس الرسولي)، **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي – بيروت، ١٩٧٥م، ص٥٥٩-٥٦٠.

أما عن علاقة ابن الساعي بالخليفة المستعصم بالله، فقد ذكر ابن قنينو الإربلي أن شيخه ابن الساعي شاهد الخليفة المستعصم، ووصفه قائلًا: "شاهدتُه، وهو أسمر اللون، مسترسل اللحية، ربعة ليس بالطويل، ظاهر الحيا، لين الكلام، سهل الأخلاق، سليم الصدر"[٢٦]. وهذا يعني أن ابن الساعي كان يتردد على قصر الخلافة.

وقد كانت لابن الساعي علاقة قوية ووطيدة بحاشية الخليفة المستعصم بالله؛ ففي ١٦ ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ = ٢٣ أبريل ١٢٤٧م خُتن ابنا المستعصم: الأمير أبو العباس أحمد، والأمير أبو الفضائل عبدالرحمن، وأُقيم احتفال بهذه المناسبة، وذكر ابن الساعي أنه قرأ بخط متولي مطبخ الإقامات بالمخزن مبلغ من أُنفق على هذا الحفل من أطعمةٍ وحوائج[٢٧].

وذكر الذهبي وتلميذه الصَّفدِي أن شرف الدين إقبالًا الشَّرَابِيّ ت (٦٥٣هـ = ١٢٥٥م) – مقدم جيوش الخلافة العباسية – كان يحترم ابن السَّاعِي، ويبعث إليه بالدنانير والذهب، ولابن السَّاعِي فيه مدائح[٢٨]. ومما يدلل على العلاقة الطيبة بين هذا الأمير وابن الساعي هو إرساله مئة دينار لابن الساعي من أجل تجهيز جنازة شيخه ابن النجار في أول شعبان سنة ٦٤٣هـ = ديسمبر ١٢٤٥م[٢٩].

وارتبط بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي؛ إذ كان يحضر مجلسه في دار الوزارة ببغداد، فقد نقل ابن كثير عن ابن الساعي خبرًا عن الزلزلة التي وقعت بمدينة النبي ﷺ سنة ٦٥٤هـ = ١٢٥٦م ذكر فيه ابن الساعي أن الكتاب وصل وهو جالس بين يدي ابن العلقمي[٣٠].

---

(26) **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سِير الملوك**، تحقيق مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى - بغداد، ط(٢)، ١٩٦٤م، ص٢٩٠.

(27) الغساني، **العسجد المسبوك**، ص٥٤٥-٥٤٧.

(28) **تاريخ الإسلام**، مج(١٥)، ترجمة (١٨٢)، وفيات سنة ٦٧٤هـ، ص٢٧٩؛ **الوافي بالوفيات**، جـ(٢٠)، ترجمة (٢٣١)، ص١٥٩.

(29) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، جـ(٤)، ترجمة (١١٤٠)، ص١٤٢٩؛ **سِير أعلام النبلاء**، جـ(٢٣)، ترجمة (٩٨)، ص١٣٣.

(30) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر – القاهرة، ط(١)، ١٩٩٨م، جـ(١٧)، ص٣٣٩.

وبهذه الصلة القوية برجال الحكم ومخالطته لهم، تمهَّد لابن الساعي الطريق للاطلاع على المناشير الرسمية والتوقيعات والمكاتبات المحفوظة في الدواوين الرسمية[٣١].

أبرز شيوخ ابن الساعي وأثرهم في تكوينهم الثقافي:

طلب ابن السَّاعِيّ العلم وهو دون سنّ السابعةكما أسلفنا، فدرس العلوم الشرعية، كالفقه والحديث والتفسير وعلم القراءات قبل كلّ شيءٍ، ثم ملك التاريخ لُبَّه، حتَّى قال عنه الذهبي: "هو أخباريٌّ جَبَل"[٣٢].

وقد تلقَّى ثقافته على أيدي عددٍ كبير من علماء العراق وغيرها من البلاد؛ فالذهبي ذكر أن مشيخة ابن الساعي بالسماع والإجازة تبلغ عشرة مجلدات، بينما ذكر الصَّفدِيّ أنها عشرون مجلدًا[٣٣]. وللوقوف على أهم شيوخ ابن الساعي، قسمناهم حسب العلوم التي استقاها منهم، على النحو التالي:

١- في علوم اللغة والقرآن:

- أبو اليُمْن زيد بن الحسن، المشهور بتاج الدين الكِنْدِيّ البغدادي الدمشقي ت (٦١٣هـ = ١٢١٦م): النحوي اللغوي، الحافظ المُحدِّث، كان أعلى أهل الأرض إسنادًا في القراءات، قال عنه ابن الساعي: "شيخنا تاج الدين أبو اليُمْن الكِنْدِيّ، العَّلامة، الإمام في معرفة علوم العربية، نحوًا ولُغةً، الحافظ الجامع لأسباب الفضائل"، وذكر أنه كان على قيد الحياة في سنة ٦١٢هـ = ١٢١٥م، وكتب إليه بالإجازة بعد هذا التاريخ، أي في آخر سنةٍ من حياته؛ لأن تُوفِّي سنة ٦١٣هـ = ١٢١٦م[٣٤]. وكان تاج الدين الكندي من الشيوخ

---

(31) الذهبي، **سِير أعلام النبلاء**، (الجزء المفقود)، ترجمة (٦٣٩١)، ص٣٠٨-٣٠٩؛ الداودي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد)، **طبقات المفسرين**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط(١)، ١٩٨٣م، جـ(١)، ترجمة (٣٤٢)، ص٤٠١.

(32) **سير أعلام النبلاء**، ص٣٠٩.

(33) الذهبي، **سِير أعلام النبلاء**، (الجزء المفقود)، ترجمة (٦٣٩١)، ص٣٠٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، جـ(٢٠)، ترجمة (٢٣١)، ص١٥٩.

(34) **الدُّر الثمين**، ص٣٧٢-٣٧٤؛ الفاسي، **منتخب المختار**، ترجمة (١١٦)، ص١١٠.

الذين اعتمد عليهم ابن الساعي في كتابه "المقابر المشهورة"؛ إذ روى عنه ثلاث روايات[٣٥].

– محب الدين عبدالله بن الحسين العُكْبَرِيّ البغدادي الأَزَجِيّ الضَّرير الحنبلي ت (٦١٦هـ = ١٢١٩م): النَّحوي والأديب المشهور، حاز قَصَب السَّبق في العربية، وكان الغالب عليه علم النحو، قرأ عليه ابن الساعي القرآن الكريم بالقراءات المروية[٣٦].

٢– في الفقه: درس ابن الساعي الفقه، واهتم به اهتمامًا أفضى إلى اختلاف أصحاب الطبقات حول مذهبه، فتارة يروْن أنه شافعيٌّ[٣٧]، وتارة أخرى يرونه حنفيًّا[٣٨]. ومع ذلك، أجمع معظم مَنْ ترجم له أنه شافعيُّ المذهب، ولعل خير دليلٍ على ذلك وقفه كُتبه على المدرسة النِّظَامِيَّة ببغداد المتخصصة في تدريس المذهب الشافعي دون غيرها – كما أشرنا من قبل –، كما سوف نلحظ أن أكثر شيوخه في الفقه من الشافعية. وقد درس الفقه على كثيرٍ من فقهاء بغداد وغيرها، فمنهم مثلًا:

– أبو المظفر محمد بن عُلْوَان بن مُهَاجِر المَوْصلي الشافعي ت (٦١٥هـ = ١٢١٨م): أقام بالمدرسة النِّظَامِيَّة؛ "حتَّى برع في الفقه مذهبًا وخِلافًا وأصولًا"، وأصبح معيدًا بها، وقد أخذ عنه ابن الساعي الفقه وأصوله[٣٩].

– أبو زكريا يحيى بن القاسم الثَّعْلبي التِّكْريتي الشافعي ت (٦١٦هـ = ١٢١٩م): الفقيه الشافعي، ذكره ابن الساعي في كتابه "أخبار الزهاد" في ترجمة شيخه ابن سُكينة بقوله: "وقد ذكره شيخنا أبو زكريا يحيى التكريتي، مدرس النظامية، في جملة مشايخه..."[٤٠].

---

(35) **المقابر المشهورة والمشاهد المزورة**، تحقيق إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري، دار الفاروق – عَمَّان، ط(١)، ٢٠١٤م، ص٩-١٠، ١٧، ٣٧.

(36) ابن الساعي، المصدر السابق، ص٣٩٨؛ الفاسي، المصدر السابق؛ ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، جـ(٢)، ترجمة (٤٤١)، ص١٧٩.

(37) الإسنوي، **طبقات الشافعية**، جـ(١)، ترجمة (٦٦٠)، ص٣٤٧؛ ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، جـ(٢)، ص١٧٨-١٧٩.

(38) القرشي، **الجواهر المُضية**، جـ(٢)، ترجمة (٩٥٢)، ص٥٤٦.

(39) **الدُّر الثمين**، ص١٠٢.

(40) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٩٦؛ **أخبار الزهاد** (مخطوطة)، ورقة (٩٤).

٣- في علم الحديث:

- ضياء الدين عبد الوهاب بن الأمين البغدادي الشافعي، المعروف بابن سُكَيْنَة الصُّوفِيّ ت (٦٠٧هـ = ١٢١٠م): مُسند العراق، أورد عنه ابن الساعي روايتين في كتابه "جهات الأئمة"[٤١]، ورواية واحدة في كتابه "المقابر المشهورة"[٤٢]. ويبدو أن العلاقة الحسنة بين ابن الساعي وشيخه الصُّوفي ابن سُكينة قد تركت بصمات طيبة على ثقافته المتشبعة بالتصوف منذ صغره؛ إذ تجلت نزعته الصوفية ومحبته للصوفية في مؤلفاته، وبخاصة في كتبيه "أخبار الزهاد"، و"أخبار الحَلَّاج".

٤- في علم التاريخ: إنَّ أهم فنٍّ تخصص فيه ابن الساعي هو علم التاريخ، ففي تلك الأثناء كانت بغداد تعج بطائفةٍ من ألمع مؤرخي القرن السابع الهجري (١٣م)، وقد تيسر لابن الساعي التتلمذ على أيديهم، وهم:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الأَزَجي البغدادي الحنبلي، المعروف بابن القَطِيْعِيّ ت (٦٣٤هـ = ١٢٣٧م): المؤرخ المحدِّث، شيخ دار الحديث بالمدرسة المستنصرية أول ما فُتِحت سنة ٦٣١هـ. وقد سار ابن الساعي على منهجه في الجزء المتبقي من تاريخه، خاصة فيما يتعلق بالتراجم، لكنه كان يبدأ الحديث عن كل سنةٍ بذكر حوادثها في بغداد وغيرها من مدن العالَم الإسلام، ثم يورد تراجم مَنْ تُوفِّي في تلك السنة من الأعيان، كالعلماء والأمراء وغيرهم[٤٣].

- أبو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي البغدادي الشافعي، المعروف بابن الدُّبَيْثِيّ ت (٦٣٧هـ = ١٢٣٩م): كان لابن الدُّبيثي أثرٌ كبير في ثقافة ابن الساعي واهتمامه بالتاريخ والحديث؛ فقد درس عليه العلمين معًا، وقرأ عليه كتابه "ذيل تاريخ مدينة السلام"، وكان مصدرًا أساسيًّا له في كتابه "التاريخ"، خاصّة في إسناد الأحاديث التي وردت في تراجمه

---

(41) ص٤٣، ٥٦.
(42) ص٤١.
(43) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص١٠٠.

لبعض الفقهاء والمحدِّثين، فقد قال عنه: "استفدتُ منه، وأخذت عنه، كان إمامًا قارئًا، أديبًا فقيهًا مُجيدًا، شاعرًا مؤرخًا، جَمَّاعة لعلومٍ كثيرة، متدينًا، عارفًا بعلوم الحديث"[٤٤].

– محبّ الدين محمد بن محمود البغدادي الشافعي، المعروف بابن النَّجَّار ت (٦٤٣هـ = ١٢٤٥م): المؤرخ الحافظ، مدرس دار الحديث بالمدرسة المستنصرية، وهو الأكثر تأثيرًا في ثقافة تلميذه وصاحبه ابن السَّاعِي؛ فقد حرص الأخير على مرافقته حتَّى وفاته، وقرأ عليه تاريخه الكبير لبغداد المُسمَّى "التاريخ المجدَّد"، وأوصى إليه ابن النجار قبل وفاته في أمر تركته؛ إذ لم يكنْ له وارثٌ، ووقف كتبه الكثيرة على المدرسة النِّظَامِيّة ببغداد، وأوصى إليه بالنظر فيها، وكان هو مَنْ باشر تجهيز جنازته[٤٥]، وروى عنه ابن الساعي كثيرًا من الأخبار[٤٦]، وفي كتابه "المقابر المشهورة"، كان لابن النجار القدح المعلى من عدد الروايات التي نقلها ابن الساعي عن شيوخه[٤٧].

٥– في الأدب: كان الأدب من العلوم التي درسها ابن الساعي وبرع فيها، ومن أهم الأدباء الذين اتصل بهم:

– شهاب الدين ياقوت الحموي الرُّومي ت (٦٢٦هـ = ١٢٢٩م): اتصل ابن الساعي بالرواية عنه، ونقل عنه مشافهةً؛ فقد قال في ترجمة العماد الكاتب: "حدثني الشهاب

---

(44) **الدُّرّ الثمين**، ص٢٢٠-٢٢١؛ محمد القدحات، **منهجية ابن الساعي في الكتابة التاريخية: كتاب التاريخ نموذجًا**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١٥م، مج(٢٢)، ص١٩٤.

(45) ابن الساعي، المصدر السابق، ص١٥٥-١٥٦؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، جـ(٤)، ترجمة (١١٤٠)، ص١٤٢٩؛ **سِير أعلام النبلاء**، جـ(٢٣)، ترجمة (٩٨)، ص١٣٣؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، جـ(٢٠)، ص١٦٠؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، جـ(١٧)، ص٢٨٤؛ كوركيس عوَّاد، **خزائن الكتب القديمة في العراق**، دار الرائد العربي – بيروت، ط(٢)، ١٩٨٦م، ص٢٦٩؛ محمد عبدالله القدحات، **المؤرخ أبو طالب عليّ بن أنجب بن الساعيّ (حياته وآثاره)**، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية – عمَّان، ٢٠٠١م، مج(٢٩)، العدد (٢)، ص٣-٤.

(46) **جهات الأئمة**، ص٩٨، ١٠٦، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧.

(47) ص٦-٧، ٢٤-٢٦، ٢٩، ٤٣-٤٤.

ياقوت الحموي، قال: رأيتُ العماد الأصبهاني في مدرسته بدمشق وهو كَوْسَج، ليس على عارضَيه شعر، وفي عينيه عَمَش"[٤٨].

– ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني ت (٦٣٧هـ = ١٢٤٠م): أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير الجزري، التقى به ابن الساعي وأخذ عنه؛ ففي ترجمة أخيه مجد الدين المبارك ت (٦٠٦هـ = ١٢٠٩م)، قال ابن الساعي: "ذكر لي أخوه ضياء الدين نصر الله..."، "وحدثني أيضًا شيخنا ضياء الدين نصر الله..."[٤٩].

– جمال الدين علي بن يوسف الشيباني القِفطي المصري ت (٦٤٦هـ = ١٢٤٨م): سمع منه ابن الساعي، ونص على ذلك في ترجمة أسعد بن المهذب بن مماتي ت (٦٠٦هـ = ١٢٠٩م)[٥٠].

٦– في التصوف: صحب ابن الساعي الصوفية والزُّهاد، ومن أبرز مشايخه من الصوفية:

– شهاب الدين عمر بن محمد البكري السُّهْرَوَرْدي الشافعي البغدادي ت (٦٣٢هـ = ١٢٣٤م): شيخ الشيوخ ببغداد، اتفقت معظم المصادر التي ترجمت لابن الساعي على أنه لبس خِرْقَة التصوُّف من الشهاب السُّهروردي سنة ٦٠٨هـ = ١٢١١م[٥١]. وأشار ابن الساعي إلى ذلك قائلًا: "وقد ذكرتُ في خطبة هذا الكتاب كونه ألبسني خِرقة التصوف، وأنعم في حقّي، وظهرت آثار عنايته، وشملتني بركته؛ وبسببه جمعتُ هذا الكتاب"[٥٢].

---

(48) **الدُّرّ الثمين**، ص١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ٢٤٦، ٣٠٥.

(49) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٢٩٠-٢٩١.

(50) المنذري (زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي)، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط(٣)، ١٩٨٤م، مج(٢)، ترجمة (١٤٩٣)، ص٣٨١؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مج(١٣)، ترجمة (١٥١)، ص٣٧٢؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، جـ(١٧)، ترجمة (٦٠٤٨)، ص٥٧.

(51) الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، جـ(٤)، ترجمة (١١٦١)، ص١٤٦٩؛ الفاسي، **منتخب المختار**، ص١١١.

(52) **أخبار الزهاد** (مخطوطة)، ورقة (١٠٢).

٧- في خزن الكتب:

- عفيف الدين عبد العزيز بن دُلَف البغدادي ت (٦٣٧هـ = ١٢٤٠م): الناسخ والخازن، أخذ عنه ابن الساعي، وبرع في هذا المجال؛ لتلمذته عليه[٥٣].

ومما سبق، نجد أن ابن قاضي شُهْبَة وُفِّق أيما توفيقٍ حينما بيَّن الخلفية الثقافية لابن الساعي بقوله: "كان فقيهًا، قارئًا بالسَّبْع، محدثًا، مؤرخًا، شاعرًا، لطيفًا، كريمًا، له مصنفات في التفسير والحديث والفقه والتاريخ"[٥٤].

أهم تلاميذ ابن الساعي وأثره في كتابتهم التاريخية:

كان لابن الساعي مدرسةٌ تاريخية، اتضحت معالمها في أبرز تلاميذه من المؤرخين والمحدثين، ومنهم:

- شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدِّمياطي الشافعي ت (٧٠٥هـ = ١٣٠٦م): الحافظ الكبير، والنَّسَّابة البارع، شيخ المحدثين، سمع من ابن الساعي بالمدرسة النِّظَاميّة ببغداد، وذكره في معجمه، وأورد له حديثًا بروايته عنه[٥٥].

- بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الإربلي، المعروف بابن قُنَينُو ت (٧١٧هـ = ١٣١٧م): المؤرخ والأديب، تتلمذ على ابن الساعي، واختصر كتابه "سِير الملوك"، وسمَّاه "خُلاصة الذهب المسبوك"[٥٦].

- صدر الدين إبراهيم بن محمد ابن حَمُّوَيه الجُوَيْنِيّ الشافعي الصوفي ت (٧٢٢هـ = ١٣٢٢م): شيخ خُراسان في وقته، سمع ببغداد من ابن الساعي، وروى عنه في كتابه "فرائد السِّمطين" تسعة وعشرين حديثًا مسندًا عن فضائل عليّ ومناقبه ﷺ، وسبعة عشر حديثًا عن

---

(53) **الدُّر الثمين**، ص٣١٥؛ ابن الفوطي، **مجمع الآداب**، مج(١)، ترجمة (٧١٣)، ص٤٥٠-٤٥١.

(54) **طبقات الشافعية**، جـ(٢)، ترجمة (٤٤١)، ص١٧٩.

(55) **معجم شيوخ الدمياطي**، ترجمة شيخه ابن الساعي في الجزء الثلاثين، ورقة (٧ أ)؛ الذهبي، **سِير أعلام النبلاء**، (الجزء المفقود)، ص٣٠٨؛ القرشي، **الجواهر المضية**، جـ(٢)، ترجمة (٩٥٢)، ص٥٤٦؛ الفاسي، **منتخب المختار**، ص١١٠.

(56) **خلاصة الذهب المسبوك**، ص٢٩٠.

فضائل فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين[٥٧]، ومن هذه الأحاديث تتضح ثقافة ابن الساعي المتشيعة لآل البيت رضوان الله عليهم.

– كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المَرْوَزي، المعروف بابن الفُوَطِيّ ت (٧٢٣هـ = ١٣٢٤م): يعد من أقرب تلاميذ ابن الساعي، وقد اختاره الوزير عطا ملك الجويني لتدوين الوقائع بعد وفاة ابن الساعي؛ وقد أكثر في كتابه "مَجمع الآداب" من قوله: "ذكره شيخنا تاج الدين بن السَّاعِيّ في تاريخه"، وقد أحصينا عدد المرات التي نصّ فيها بالنقل عن تاريخ شيخه ابن الساعي، فوجدناها مئة وخمسين روايةً، أغلبها عن تراجم الأمراء والحجاب والنقباء والأدباء والكُتَّاب، الذين اتصل بهم ابن الساعي، والتقى بهم. واهتم ابن الفوطي – كأستاذه – بتحديد المكان الذي دُفن فيه الشخص المترجَم له[٥٨]. وهناك نقاط تشابه كثيرة بين ابن الفوطي وأستاذه ابن الساعي؛ إذ ألَّف كتابه "الزُّبدة الطبية المجدولة" لعماد الدولة أبي الخير بن موفق الدولة الهمذاني، بالتماسٍ منه سنة ٦٦٦هـ = ١٢٦٨م[٥٩]، وهو بذلك يحاكي أستاذه ابن الساعي الذي التمس منه صاحب شَهرزور الزَّنْكيّ تأليف كتابه "المعلم الأتابكي".

أثر تكوين ابن الساعي الثقافي في مؤلفاته:

كانت لدى ابن الساعي رغبة جامحة في التصنيف، والتي تعكس بدورها سَعة اطلاعه وتنوع مصادر ثقافته، فقال الذهبي في وصف مؤلفاته: "هي كثيرة جدًّا، لعلَّها وِقْر بعيرٍ"[٦٠]. ومن الملاحظ أنه قد وضع بعض مؤلفاته؛ استجابة لأشخاص طلبوا منه ذلك، فإنه قلما ألَّف

---

(57) **فرائد السِّمطين في فضائل المرتضى والبتول والسِّبطين**، تحقيق محمد باقر المحمودي، دار الحبيب – طهران، ط(١)، ٢٠٠٧م، راجع مثلًا: جـ(١)، ص١٨؛ جـ(٢)، ص٣٤.

(58) **مجمع الآداب**، مج(٢)، ترجمة (١٢٣٦)، ص١٥٨؛ شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، دار العلم للملايين – بيروت، ط(١)، ١٩٩٠م، جـ(٣)، ص١٩.

(59) ابن الفوطي، المصدر السابق، مج(٢)، ترجمة (١٠٤٣)، ص٦٢.

(60) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، مج(١٥)، وفيات سنة ٦٧٤هـ، ترجمة (١٨٢)، ص٢٧٩؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، جـ(٢٠)، ص١٥٩؛ ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، جـ(٢)، ترجمة (٤٤١)، ص١٧٨؛ ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، جـ(٨)، ترجمة (١٥٧٠)، ص٥٤.

كتابًا لم ينلْ عليه جائزة؛ فقد قال عنه تلميذه وصديقه محمد بن سعيد ت (٧١١هـ = ١٣١١م): "ما كان يكتب مجلدًا إلا يحصل في مقابله المئة دينار والثلاثمئة"[٦١].

وقد جمعت ثقافة ابن الساعي بين التاريخ والحديث والفقه والأدب، وكان لتكوينه الثقافي أثرٌ واضح في مؤلفاته، على النحو الآتي:

– ثقافة موسوعية: كان ابن الساعي موسوعيّ الثقافة؛ فهو ذو ثقافة واسعة، غير محددة أو مقتصرة على دينٍ ما أو مذهبٍ معين أو فرقةٍ بعينها، بل انفتح على الجميع، ففي تاريخه ترجم لأناس من أهل الذِّمة، ومن أهل السُّنة والشيعة، ومن الفقهاء والقُراء والمحدِّثين، وترجم للشافعية والحنفية والحنابلة والمالكية. وفي كتابه "الدُّر الثمين" ذكر أخبار معظم المصنفين في شتَّى العلوم[٦٢].

– ثقافة دينية: اتضحت ثقافته الدينية في تاريخه؛ فهو يترحم على صاحب الترجمة محمود السِّيرة، ولا يتعمق في سرد الجوانب السلبية له، وفي حال إذا كان صاحب الترجمة سيء السِّيرة، ينهي ترجمته بقوله: "عفا الله عنه وعنَّا"[٦٣].

– ثقافة حديثية: ظهرت ثقافته المُلمة بعلوم الحديث جليةً في كتابه "جهات الأئمة"؛ فعند إيراده لإحدى الروايات كان يذكر سندها كاملًا حتى يصل إلى صاحب الرواية[٦٤]. وتجلى في تاريخه أثرُ دراسته لعلم الحديث واضحًا؛ فقد أورد أكثر من أربعين حديثًا مسلسلًا، بإسنادها إلى النبي ﷺ، وهي أحاديث وردت في كتب الحديث الستة[٦٥]، كما أكثر جدًّا من الترجمة للمحدِّثين، وأورد لكلّ واحدٍ منهم حديثًا يصل سنده إلى النبي ﷺ[٦٦]. وكانت

---

(61) الفاسي، **منتخب المختار**، ترجمة (١١٦)، ص١١١؛ شاكر مصطفى، المرجع السابق، جـ(٣)، ص١٨-١٩.

(62) **الدُّر الثمين**، ص٢١١.

(63) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص١١، ١٦، ٢١.

(64) **جهات الأئمة**، ص٤٣-٤٤، ٥٥-٦١، ٧٢، ٩١-٩٢، ٩٨-٩٩، ١٠٦، ١٢٥، ١٢٧.

(65) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ينظر مثلًا: ص٩-١٠، ١٤، ١٦، ٢٩، ٣٦-٣٨، ٦٢-٦٤.

(66) المصدر السابق، جـ(٩)، ص٩-١٠، ١٦، ٢٩، ٣٣، ٣٧.

لدراسته علم الحديث أثرٌ كبير في ثقافته في كتابه "الدُّر الثمين"؛ فترجم للإمام البخاري رحمه الله[٦٧].

– ثقافة أدبية: ولأن ثقافة ابن الساعي تشبَّعت بحبّ الشِّعر، أورد في كتابه "جهات الأئمة" كثيرًا من الأشعار لغيره في ثنايا التراجم، ومن أمانته أنه كان يعزوها إلى أصحابها[٦٨]. واهتم أيضًا بإيراد تراجم الأدباء والشعراء في تاريخه[٦٩]. وفي كتابه "الدُّر الثمين"، وبرغم عنايته الخاصة بذكر أسماء المؤلفات، فإنه كثيرًا ما كان ينتقي أبياتًا من شعر المترجَم له[٧٠].

– ثقافة تاريخية: عني ابن الساعي في كتابه "الدُّر الثمين" بالترجمة لعددٍ كبير من المؤرخين[٧١].

– ثقافة صوفية: يتجلى أثر ثقافة ابن الساعي الصوفية في كتابيه "أخبار الحلاج" و"المقابر المشهورة" بأوضح صورها؛ وذلك من خلال استخدامه لبعضٍ من مصطلحات الصوفية، كأهل العباء أو العباءة الذي يُقصَد به كلٌّ من عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم، ومن ثقافته الصوفية أيضًا اعتقاده بكرامات الأولياء[٧٢]. وأورد في الجزء الوحيد المتبقي من تاريخه كثيرًا من تراجم الصوفية والزُّهاد، وهذا نابعٌ عن ثقافته المحبة لأهل التصوف[٧٣]. أما في كتابه "الدُّر الثمين"، فقد أورد تراجم مَنْ صنَّف من الصوفية[٧٤].

– ثقافة شيعية: كان ابن الساعي يحبّ الطالبيين؛ لذلك مالت ثقافته إلى تبجيلهم وتوقيرهم في مؤلفاته، بل ألَّف عنهم كُتبًا، ككتابه المفقود "نُزهَة الأبصار في معرفة نقباء الأُسرة الأطهار"، كما ذكر الذهبي أنه صنَّف كتابًا آخرَ اسمه "حُبّ الاثنى عشر"، واتخذه حجةً

---

(67) **الدر الثمين**، ص١٧٢-١٧٣.
(68) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: **جهات الأئمة**، ص٤٦، ٤٨-٥٢، ٨٣-٨٤.
(69) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٣٤-٣٥.
(70) **الدر الثمين**، ص٩٧، ١١٧.
(71) **الدر الثمين**، ص٢٩٢، ٣٩٢.
(72) **المقابر المشهورة**، ص٣، ٦؛
F. Rosenthal: **the Encyclopaedia of Islam**, New Edition, E. J. Brill, Leiden, Netherlands, New Edition, 1986, Vol. III, art. (**Ibn Al-Sa'I**), p. 925.
(73) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٣٦-٣٧.
(74) **الدُّر الثمين**، ص٩٦، ١٩٥، ٢٣٣-٢٣٥.

دامغة على تشيع ابن الساعي، ثم رجع في آخر الترجمة، وقال: "إن فيه رفضًا متوسطًا"، ولعل هذا أفضى بصاحب كتاب "أعيان الشيعة" أن يذكره ضمن تراجمه[٧٥]. وترجم في تاريخه لعددٍ من العلويين[٧٦]، وذكر في كتابه "الدُّر الثمين" أخبار عددٍ من مصنِّفي الطالبيين[٧٧].

– تعظيم العباسيين: تشبَّعت ثقافته بتمجيد الخلفاء العباسيين، حتى إنها تركت بصمةً قوية في مؤلفاته؛ فهو لم يذكرْ أيًّا منهم إلا مسبوقًا بلقب "الإمام"[٧٨]، ناهيك عن السِّير الأربع التي ألفها عن آخر أربعة خلفاء منهم.

– رجال البلاط العباسي: نتيجة لقرب ابن الساعي من رجال البلاط والخدم وعمال الدواوين والحُجاب بدار الخلافة، أكثر من الترجمة لهم في تاريخه[٧٩].

---

(75) **سِير أعلام النبلاء** (الجزء المفقود)، ترجمة (٦٣٩١)، ص٣٠٩؛ محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف – بيروت، ١٩٨٣م، مج(٨)، ص١٧٦.

(76) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٢٠، ٨٥-٨٦، ٩٦، ١٩٧.

(77) **الدُّر الثمين**، ص٢٠٨-٢٠٩، ٢٧٤-٢٧٥.

(78) ينظر – مثلًا -: **جهات الأئمة**، ص١٠؛ **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص٢١.

(79) **تاريخ ابن الساعي**، جـ(٩)، ص١٨-١٩.